الامر جرى على نحو معقد، او مركب اذا شئنا ان نختار التعبير الادق. وقد انطوى الرفض العربي المعلن لوجود اسرائيل على قدر من التعبير عن التناقض القومي بين الجانبين، بيما انطوى العجز او القعود العربي عن مجابهة هذا الوجود على اقرار ضمني بأنه صار، منذ تعزز وبمقدار ما كان يتعزز، يسدي خدمة لجوهر سياسة الحكومات العربية القائم على مكافحة تطور قوي التطوير والتقدم في بلدانها وعلى التمسك بالتبعية لدول الغرب. ذلك ان وجود اسرائيل صار يخدم حقيقة/هذين الاتجاهين الرئيسيين في سياسات الحكومات العربية الرجعية ويمكن من تعزيز النفوذ الغربي في الشرق الاوسط، الذي لم يكن مقبولاً منها فحسب، بل مطلوباً ايضا. وكأنما صار وجود اسرائيل امراً مرغوبا فيه وان لم يجر الافصاح صراحة عن هذه الرغبة لأسباب تتصل بمواقف اغلبية الرأي العام الذي يرفض هذا الوجود ويحس بمخاطره على المصالح الحقيقية للبلدان العربية فضلاً عن خطره الماحق على وجود ومصالح الشعب الفلسطيني.

ولعل هذا الوضع هو الذي يفسر نوعاً يثير الدهشة من الاسهام العربي في تعزيز قوة اسرائيل، ، مارسته، عن وعي تام، بعض الحكومات العربية المعنية، ومارسه بعضها، بوعي اقل، زيادة على انه يفسر التسليم العملي بوجودها. والقعود عن مجابهتها وهو الاسهام الذي مثله موقف الحكومات العربية من هجرة المواطنين اليهود منها الى اسرائيل. هذا الاسهام تتجلى اهميته البالغة عندما نعرف ان الهجرة التي كانت، قبل العام ١٩٤٨، المطلب الأول الذي ادى تحقيقه لقيام اسرائيل صارت، بعد هذا العام، مطلبا اولا لتعزيز وجودها وتقويتها ومساعدتها، بل دفعها، لممارسة السياسة التوسعية. وبينما ظلت الدول العربية تستنكر لفظياً عمليات الهجرة اليهودية الى اسرائيل، فعلت من جانبها كل ما من شأنه ان يسهل هجرة مئات الالوف من يهود بلدانها. وتبين، فيما بعد، ان عدداً من هذه الدول فعلت هذا متعمدة ونتيجة اتفاقات ابرمتها مع القيادة الصهيونية. بل قامت ايضا بتشديد الارهاب ضد يهود بلدانها لغرض وحيد هو ارغام الذين لا يرغبون في الهجرة على أن يغادروا البلاد ويتوجهوا الى اسرائيل، كما كان شأن العراق مثلا في عهد حكومة نوري السعيد. كما اتضح ان الدول الاخرى، غير العراق التي هاجر يهودها الى اسرائيل مارست السياسة ذاتها التي مارسها بلد كالعراق من غير ان تتوفر الادلة على ان ذلك كان متعمداً او انه تم نتيجة اتفاقات مبرمة. والحال، كما انتهت اليه هذه السياسات، ان الدول العربية أمدت اسرائيل في السنوات الثلاث الاولى لقيامها بـ ٣٠٠ الف مهاجر، اي بما يقترب من نصف عدد سكانها عند اعلان قيامها، وفي السنوات التالية بحوالي نصف مليون آخرين بحيث يمكن القول ان يهود الدول العربية هم وذريتهم ما يقارب المليوني شخص من سكان اسرائيل اليهود، او ما تزيد نسبته حالياً عن ٦٠ بالمائة منهم وان معظم هؤلاء تم تهجيرهم بالاكراه الى اسرائيل وضد رغباتهم الخاصة في احوال كثيرة (٤٨).

وفي ظل هذا الوضع المركب، بمراحله المتناقضة والمتداخلة، صار اسهل ما يمكن ان تفعله الحكومات العربية، من وجهة نظرها، هو ما فعلته في الواقع: اي تشديد شعارات الرفض اللفظي، والامعان في القعود عن المجابهة بينما كانت اسرائيل